لِمجموعِ أحكامِ الفنونِ مُلخَّصٌ وَمُنْتَخبٌ غَيْثاً حَواه عبابُ
سَلامَ عليه يحكي الرَّوْضُ عَرْفَهُ وَقَدْ بَاكَرتْهُ نسمةٌ وسَحابُ

وهو الآن حيٌّ يسعى في تحصيل العلوم، ويجهد في طاعة الحيّ القيوم، مستمراً على القراءة عَليّ، بلّغه اللَّه الأمل[1].

(٣٦٤)

(السيد القَاسِم بن إبراهيم الظَّفري)

ولد في شعبان سنة (١١٧٩) تسع وسبعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، فأخذ عن جماعة من علمائها، كشيخنا العلّامةَ عبد اللَّه بن الحَسَن بن عليّ، والسيد العلّامة عليّ بن عبد اللَّه الجلال، والسيد العلَّامة إبراهيم بن عبد القادر. ولعل له قراءة على شيخنا العلَّامة السيد عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قَاطِن. واستفاد في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول، وله فهم قويٌّ وذهنٌ سويٌّ وحفظ الأدب وحسن المحاضرة، وقوة عارضة في المذاكرة، وعَزَم من صنعاء إلى ذي جبلة متولياً على أوقاف تلك الجهة. وهو الآن هنالك، ولو تفرغ للاشتغال وسلم عن عوارض الأشغال لنال بفهمه السليم وفكره الكريم أعلى مراتب الكمال. وولي ولايات وجرت له قصص وحروب، (ومات) في شهر رجب سنة (١٢٢٧) سبعٍ وعشرين ومائتين وألف.

(٣٦٥)

(السيد القَاسِم بن أحمد بن عبد اللَّه بن القَاسِم بن أحمد بن لُقْمَان بن أحمد بن شَمْس الدين ابن الإمام المهدي أَحمد بن يَحْيَى)

وتمام نسبه قد تقدم في ترجمة الإمام المهدي. ولد في سنة (١١٦٦) ستٍّ وستين ومائة وألف، بموضع يقال له «صُنْعَة» بضم الصاد المهملة وسكون الموحدة ثم مهملة، وهي قرية بقرب مدينة ذمار، فيها جماعة من السادات آل لُقْمَان. ثم انتقل صاحب الترجمة إلى مدينة ذمار، فقرأ على جماعة من مشايخ الفقه كالسيد العلَّامة أحمد بن عَليّ بن سُليمان، والفقيه العلَّامة مُحسن بن حَسَن الشُّوَيْطِر، وغيرهما. وبرع في علم الفروع، وقرأ هنالك في علم النحو، ثم ارتحل إلى صنعاء لسبب اقتضى

(١) قيل: توفي في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٧هـ.

ذلك، فوصل إليها في سنة (١١٩٣)، وقرأ في العربية والأصول على جماعة، وأخذ عنّي في العربية، وحضر في دروسي الحديثية، وهو مفرط الذكاء سريع الفهم قويّ الإدراك، استفاد بدرايته أكثر مما استفاد بروايته. ونظم الشعر الفائق، وطارح بشعره جماعة من الأدباء، واستقر بصنعاء، وتزوَّج بها، وأضرب عن العود إلى وطنه. وله همةٌ عَليَّة وشهامة عُلوية ونفسٌ أبية وسيادةٌ هاشميةٌ، لا يخضع في مطلب من مطالب الدنيا ولا يدنو لأَربابها، بل يكتفي منها بما يصل إليه من أموال له ورثها عن أبيه. وقد ينوب في الأعمال الشرعية إذا عوّل عليه من يألف به من القضاة فيفصلها على أحسن أسلوب مع عفةٍ ونزاهة. وهو أجلُّ من كثيرٍ من قضاة العصر، بل يصغر عن عظيم قدره القضاء. وتحريراته في القضايا الشرعية مقبولة عند الخاص والعام مرضية عند الصغير والكبير يقنع بها المحكوم عليه كما يقنع بها المحكوم له. وبيني وبينه مودة أكيدة، ومحبة قوية، وهو لا يملّ جليسه ولا يستوحش أنيسه، لما جبل عليه من لطف الطبع وكمال الظرف. وقد استمرّ الاتصال بيني وبينه زيادة على خمس عشرة سنة قلّ أن يمضي يوم من الأيام لا نجتمع فيه ويجري بيننا مطارحات أدبية في كثير من الأوقات، ومراجعات علمية في عدة مسائل، منها ما هو منظوم ومنها ما هو منثور. فمن ذلك هذا السؤال الذي اشتمل على نظم ونثر يأخذ بمجامع القلوب، كتبه إليّ من أيام سابقة ولفظه:

«حرس اللَّه سماء المفاخر، بحماية بدرها الزاهي الزاهر، وأتحف روضها الناظر، بكلاية غيثها الهامي الهامر. وأهدى إليه تحية عطرة، وبركة خضرة نضرة، ما مسحت أقلام الكتبة مفارق المحابر، ورتعت أنظار الطلبة في حدائق الدفاتر. صدرت هذه الأبيات في غاية القصور، أقيلوا عثارها إن كان لكم عليها عثور، تستمنح منكم الفرائد، وتستمد منكم الفوائد، أوجب تحريرها أنه ذكر عند بعض الأماثل، جماعة المتصوفة فأثنى عليهم وأطنب، وأطرى وأطرب، واستشهدني فقلت بموجب قوله، مستثنياً منهم الحلاج وابن عربي ومن يساويهما فأصرَّ واستكبر، وأبدى قولاً يُستنكَرْ، فجرى بيننا خلاف مُفرط، فاحكم بيننا بالحقّ ولا تَشْطُطْ: [من الكامل]

أعنِ العَذُول يُطيق يَكْتُم ما بِهِ ... والجفنُ يغرقُ في خليجِ سَحابهِ
جَازت رَكائبهُ الحِمىَ فَتعلّقتْ ... أحشاؤهُ بِشعابهِ وهِضابهِ
نَفد الزمانُ وما نفدنَ مَسائلي ... في الحبّ والتّنفيرِ عَنْ أربابهِ
فَركَضْتُ في مَيْدانه وكَرعْتُ مِنْ ... غُدرانهِ وَركَعْتُ في مِحْرابهِ
وَسألتُ عن تحقيقهِ وبحثتُ عنْ ... تَدقيقهِ وكَشفْتُ عَنْ أسبابهِ
فَوجدتُ أخبار الغرامِ كَواذباً ... في أكثر الفتيانِ مِنْ طُلّابهِ

فَيُميتُ مِنْ شَهواتِهِ لحياتِهِ ... وَيردّ فَضْلَ ذهابِهِ لإيابِهِ
وَلقلَّ ما يَلقَى امْرءاً مُتصوّفاً ... يَنحو طريقَ الحبِّ من أبوابِهِ
يجدُ الخطيئةَ كالقذاةِ لِعيْنِهِ ... فَرَمى بها في الدمع عَنْ تسكابِهِ
أخذَ الطريقةَ بالحقيقةِ سالكاً ... نهجَ النبيّ قد اقْتَدى بِصَوابِهِ
تَمضي به اللحظاتُ وهو مُحاسبٌ ... لِلنفسِ قبلَ وُقوفه لِحسابِهِ
هذي الطريقةُ للمريدِ مُبلغ ... مخّ التصوفِ وَهْي لبُّ لُبابِهِ
وَجماعة رَقصوا على أَوتارهم ... يَتجاذبون الخمرَ عنْ أكوابِهِ
يَتواجدون لِكلّ أحْوَى أحورٍ ... يَتعلّلونَ مِن الهَوى بِرُضابِهِ[1]
ألوِحْدةٍ جعلوا المثاني مُونساً ... واللَّحْنُ عند الذكرِ منْ إعرابِهِ
أصحاب أحوالٍ تعدّوا طَوْرَهُمْ ... فَتنكَّروا في الحال عن أحزابِهِ
زَجَروا مَطاياهم إليْهِ وإنّما ... نَكَصَ الغرامُ بهمْ على أعقابِهِ[2]
دَعْوَاكَ معرفةَ العيونِ سفاهةٌ ... والشرعُ قاضٍ والنُّهى بِكذابِهِ
فَمِن المحال ترى المهامِهَ تَنْطَوِي ... لِمُشعبذٍ من دونِ وَخْدِ ركابِهِ[3]
وخرافةٌ بَشَرٌ يُرى مُتشكّلاً ... مُتمكّناً من لبسِ غيرِ إهابِهِ[4]
رَجَحَتْ نُهايَ فلا أصدّقُ ما سِوَى ... رُسلِ المليكِ وتَرجمانِ كتابِهِ
فَدَعِ التَّصوُّفَ واثقاً بحقيقةٍ ... واحْرِصْ ولا يَغْرُرْكَ لَمْعُ سَرابِهِ
لِلقومِ تعبيرٌ به يَسْبي النُّهى ... طَرباً ويثني الصَّبّ عنْ أحبابِهِ
فَيَروْنَ حقّ الغيرِ غَيْرَ مُحرّمٍ ... بَلْ يَزعمُونَ بأنَّهم أَوْلَى بِهِ
لَبِسُوا المدارعَ واستراحوا جُرأةً ... عنْ أمرِ باريهم وعنْ إيجابِهِ
خَرَجُوا عنِ الإسلام ثم تَمَسَّكوا ... بِتَصوّفٍ فَتَسَتَّروا بِحجابِهِ
فَأولئك القومُ الذين جِهَادُهم ... فَرْضٌ فَلَا يَعْدُوك نيلُ ثوابِهِ
وإذا أرابكَ ما أقولُ فَسلْ بِهِ ... مَنْ عِنْدَه في الحكم فَصْلُ خطابِهِ[5]

---

(١) الأحوى: الذي حَويت شفته: احمرَّت حُمْرةً تضرب إلى السَّواد. الأحور: الذي في عينيه حَوَرٌ، وهو شدّة بياض بياض العين، مع شِدّة سواد سوادها. الرُّضاب: الرِّيق المرشوف.
(٢) زَجَرَ المطية: حَثَّها وحملها على السُّرعة. نكص على أعقابه: رجع عمَّا كان قد اعتزمه وأحجم عنه.
(٣) المهامه: جمع المهمه: المفازة البعيدة لا ماء فيها ولا أنيس. الوَخْدُ: سير سريع واسع الخَطْو.
(٤) الإهاب: الجلد.
(٥) أَرابَكَ: جعلك ترتاب: تَشُكُّ. فَصْلُ الخطاب: ما كان الحكم فيه قاطعاً لا رادَّ له.

عَـلَّامـة الـمـعـقـولِ والـمـنـقـولِ مَـنْ حَـكـمـتْ لـهُ الـعَـلـيـا عـلـى أتـرابـهِ
فَـذُّ الـزمـانِ وتـوأمُ الـمـجـدِ الـذي سَـاد الأكـابـر فـي أوان شَـبـابـهِ[١]
بَـدْر الـهـدى الـنـظـار سَـلْـه مُـقـبِّـلاً كَـفّـيْـهِ مُـلـتـمـسـاً لِـردِّ جَـوابـهِ
فَـمُـحـمَّـدُ بـن عَـلـيٍّ ابـن مُـحـمَّـدٍ مـنّـي ومِـنْـكَ مُـحـقّـقٌ أدْرَى بـهِ
سَـلْـهُ زَكـاة الاجـتـهـادِ فـإنَّـه إنْ صـحَّ فَـقـرُكَ مُـحـرِزٌ لِـنـصـابـهِ[٢]

فأجبت عن هذا السؤال برسالة في كراريس سميتها (الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد)، وسأذكر ههنا ما أجبت به عن النظم فقط وهو: [من الكامل]

هـذا الـعـقِـيـقُ فَـقِـفْ عـلـى أبـوابـهِ مُـتـمـايـلاً طَـربـاً لِـوَصْـلِ غـرابـهِ
يـا طَـالـمـا قَـدْ جُـبْـتَ كُـلَّ تَـنـوفـةٍ مُـغـبـرةٍ تـرجـو لِـقَـا أربـابـهِ[٣]
وَقـطـعْـتَ أنـسـاعَ الـرواحـلِ مُـعـلـنـاً فـي كـلّ حـيّ جِـئْـتَـهُ بِـطـلابـهِ[٤]
حَـتَّـى غـدتْ غُـدران دَمْـعِـكَ فُـيَّـضـاً بـالـسـفـحِ فـي ذَا الـسّـفـحِ مـنْ تَـسـكـابـهِ
والـعـمـرُ وَهْـو أجـلّ مـا خُـوِّلـتـهُ أنـفـقـتـهُ فـي الـدورِ فـي أدرابـهِ[٥]
وَعـصـيْـتَ فـيـهِ قَـوْلَ كـلّ مُـفـنّـدٍ وسَـدَدْتَ سمعاً عن سَماعِ خِطابهِ[٦]
بُـشْـرايَ بـعـد الـيـأسِ وَهْـو خَـطـيـبُـهُ بِـتَـبـدُّلـي سَـهْـل الـهَـوَى بِـصـعَـابـهِ
قَـدْ أنـجـحَ الـلَّـه الـذي أمـلّـتـهُ وكَـدحْـتُ فـيـهِ لـنـيـلِ لَـبّ لـبـابـهِ
وهَـجـرتُ فـيـه مـلاعـبـي ولَـقـيـتُ فـيـ ـهِ مَـتـاعـبـي ومُـنـيـتُ مـنْ أوصـابـهِ[٧]
وشَـربـتُ كـاسـاتِ الـفـراقِ وقـد غَـدتْ مَـمـزوجـةً بِـزعـافـهِ وبِـصَـابـهِ[٨]
وبـذلـتُ لـلـهـادي إلـيْـه نَـفـائـسـي وَمـنـحْـتُـه مـنّـي بـمـلءِ وِطَـابـهِ[٩]

---

(١) الفَذُّ: الفرد، الذي لا نظير له.
(٢) أحرز الشيء: حازه وامتلكه.
(٣) جُبْتَ: طُفْتَ، أو قَطعْتَ وجُزْتَ. التنوفة: المفازة البعيدة.
(٤) الأنساع: جمع النِّسْع، سَيْرٌ عريض تُشَدُّ به الحقائب أو الرحال.
(٥) خُوِّلَ: أُعْطِيَ. الأدراب: جمع الدَّرْب: كلّ طريق يؤدي إلى ظاهر البلد.
(٦) المُفَنِّدُ: المُكَذِّب.
(٧) الأوصاب: جمع الوَصَب: التَّعَبُ.
(٨) الزعاف: يقال: سُمٌّ زعاف: سريع القتل، وموت زُعاف: سريع. الصاب: شجرٌ له عُصارة بالغة المرارة.
(٩) الوِطابُ: جمع الوَطْب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه، ويقال: صفرت وطابه: مات أو قُتِل.

فَحططْتُ رَحْلي بين سُكانِ الحِمَى ... وأنختهُ في مُخصباتِ شِعابهِ[١]
وشَفيْتُ نفسي بعد طُولِ عَنائها ... في قَطْعِ حَزْنِ فَلاتهِ وهِضابهِ[٢]
وَوضعْتُ عنْ عُنقي عَصَا التَّرحال لا ... أخْشَى العذولَ ولا قبيحَ عِتابهِ
فأنا ولا فخرُ الخَبيرُ بِأرضِهِ ... وأنا العَرُوفُ بِشَامخاتِ عقَابِه
وأنا العَليمُ بِكُلِّ ما في شَرْحِهِ ... وأنا المُتَرجمُ عن خفيِّ جَوابِهِ
يا ابنَ الرّسولِ وعالمِ المعقولِ وَالْـ ... مَنْقُولِ أنتَ بمثلِ ذا أدْرَى بهِ
لا تسألنَّ عنِ العقيقِ فإنَّها ... قَدْ ذُلّلتْ لكَ جَامِحاتُ رِكابهِ[٣]
وَكَرعْتَ في تلك المناهلِ بُرهةً ... وشَرِبْتَ صَفْوَ الوِرْدِ من أربابهِ
وقَعدْتَ في عَرَصاتهِ مُتمايلاً ... مُتبسماً نشوانَ مِن أطرابهِ[٤]
واسْلَم ودُمْ أنتَ المُعدُّ لِمُعْضِلٍ ... أَعْنَى الوَرَى يَوْماً بِكَشْفِ نِقابهِ[٥]
وَخُذِ الجوابَ فما بهِ خَطَلٌ ولا ... عَصبيةٌ قَدحَتْ بعينِ صَوابهِ[٦]
سُكّانُه صِنْفان صِنفٌ قَدْ غَدا ... مُتجرّداً لِلحُبّ بينَ صِحَابهِ
قَدْ طلَّق الدنيا فَليْسَ بضارعٍ ... يوماً لنيلِ طَعامِه وشَرابهِ[٧]
يَمشي على سَننِ الرَّسول مُفوّضاً ... لِلأمر لا يلوي لِلَمْعِ سَرابهِ
يَرضَى بِمَيْسورٍ مِن الدنيا ولا ... يغتمُّ عندَ نِفارهَا عَنْ بابهِ
مُتقللاً مِنها تَقلُّلَ مُوقِنٍ ... بِدُروسِ رَوْنَقِها وقُرْبِ ذَهابهِ[٨]
مُتزهِّداً فيما يزولُ مُزايلاً ... إدراك ما يبقى عَظيم ثَوابهِ[٩]
جَعلَ الشعارَ لهُ محبةَ رَبِّه ... وَثَنَى عِنانَ الحبِّ عنْ أحبابهِ[١٠]

---

(١) أناخ البعير: أبركه.
(٢) عناؤها: تعبُها وَمَشَقَّتُها. الحَزْن: الغليظ الوَعِرُ من الأرض.
(٣) ذُلِّلَتْ: رُوِّضَتْ. جامحات: جمع جامحة: عاتية عن أمر صاحبها.
(٤) العرصات: الساحات، تكون في الدور، أو حولها. الأطراب: جمع الطَّرب: هزّة وخفّة تثير المرء من فرحٍ أو ارتياح.
(٥) المُعضل: الصعب من الأمور. أعْنَى الورى: أتعبهم.
(٦) الخَطَلُ: الكلام الفاسد المضطرب. (٧) الضَّارعُ: المُتذَلِّلُ.
(٨) المُوقن: المُصدِّقُ أو المتأكد من الأمر. الدُّروسُ: الزوال والفناء. الرَّوْنَقُ: البهاء أو جمال المنظر، والبهجة.
(٩) المُزايلُ: المُفارق.
(١٠) العنان: سير اللجام الذي تُمسك به الدابة (المِقْوَد).

أكرمْ بهذا الصّنْفِ منْ سُكّانهِ ... أحْببْ بهذا الجنسِ منْ أحزابهِ
فهم الذين أصابوا الغرض الذي ... هُو لَامِراً في الدين لبُّ لُبابهِ[١]
وَلكم مَشَى هذي الطريقةَ صاحبٌ ... لِمحمَّدٍ فَمَشَوْا على أعقابهِ
فيها الغفاري قَدْ أناخَ مَطِيَّةً ... وَمَشَى بها القربى بسبقِ ركابهِ[٢]
وبها فُضيلٌ والجُنيدُ تجاذبا ... كأسَ الهَوى وتَعلّلا برُضابهِ[٣]
وكذاكَ بشرٌ وابن أدهمَ أسْرَعا ... مَشْياً به والكَيْنَعي مَشَى بهِ[٤]
أما الذين غَدَوْا على أوتارهمْ ... يَتجاذبونَ الخَمرَ في أكوابهِ
وَلِوحْدةٍ جعلوا المثاني مُونساً ... واللحن عندَ الذكرِ من إعرابهِ
وَيرونَ حَقَّ الغيرِ غيرِ مُحرَّمٍ ... بَلْ يَزْعمُون بأنَّهم أولَى بهِ
فَهُمُ الذينَ تلاعبوا بين الوَرَى ... بالدين وانتدبوا لِقَصْدِ خَرابهِ
قَد نهَّجَ الحلَّاجُ طُرقَ ضَلالهِمْ ... وكذاكَ مُحيي الدين لا حيَّا بهِ[٥]
وَكذاكَ فَارِضهُم بِتائيّاتهِ ... فَرضَ الضلالَ عليهم ودعا به[٦]
وكَذَا ابن سَبعين المهين فقد عَدَا ... مُتطوراً في جهلهِ ولِعابهِ[٧]

---

(١) لا مِراً: لا مِراءً: لا جدَال.

(٢) الغفاري: أبو ذَرٍّ، جندب بن جنادة الغفاري، الصحابي الجليل، المتوفي سنة ٣٢هـ. القرني: هو أويس بن عامر القرني، أحد النسّاك المتعبدين، أدرك النبي ﷺ، ولم يره، وتوفي سنة ٣٧هـ.

(٣) فُضيل: هو الفضيل بن عياض التميمي، شيخ الحرم المكّي، الزاهد العابد، المتوفى سنة ١٨٧هـ.
الجنيد: هو أبو القاسم، الجنيد بن محمد البغدادي، الصوفي المشهور، المتوفى سنة ٢٩٧هـ.

(٤) بشر: هو أبو نصر، بشر بن الحارث المروزي، المعروف بالحافي، العابد، الزاهد، الصالح، المتوفى سنة ٢٢٧هـ.
ابن أدهم: هو إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي، الزاهد المشهور، المتوفى سنة ١٦١هـ.
الكَيْنعي: هو إبراهيم بن أحمد الكينعي، أحد نسّاك الزيدية باليمن. توفي سنة ٧٩٣هـ.

(٥) الحلَّاج: هو أبو مغيث، الحسين بن منصور الحلاج: فيلسوف، صوفي مشهور. توفي سنة ٣٠٩هـ قتلاً وحرقاً.
محيي الدين: هو أبو بكر، محيي الدين، محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي، الصوفي، العارف الكبير، المتوفى سنة ٦٣٨هـ.

(٦) فارضهم: أي ابن الفارض: عمر بن علي الحموي المصري، المتصوف، المعروف بسلطان العاشقين، المتوفى سنة ٦٣٢هـ.

(٧) ابن سبعين: هو أبو محمد، عبدالحق بن إبراهيم بن سبعين الإشبيلي المرسي: زاهد، فيلسوف، من القائلين بوحدة الوجود. توفي سنة ٦٦٩هـ.

رَامَ الـنُّـبـوَّةَ لالـعـاً لِـعُـثـورِهِ ... رَوْمَ الـذبـابِ مَـصـيـره كَـعـقـابِـهِ[١]

وكـذلـكَ الـجـيـلـي أجـالَ جَـوادَهُ ... فـي ذلـك الـمـيـدانِ ثـم سَـعَـى بـهِ[٢]

إنـسـانُـه إنـسـانُ عـيـنِ الـكُـفْـرِ لا ... يَـرتـابُ فـيـهِ سَـابـح بِـعَـبـابـهِ

وَالـتّـلْـمِـسـانـي قـالَ قَـدْ حَـلَّـتْ لـهُ ... كـلّ الـفـروجِ فَـخُـذْ بِـذا وكَـفَـى بـهِ[٣]

نَـهـقـوا بِـوِحْـدتـهِـمْ عـلـى رُوس الـمَـلَا ... ومـنَ الـمـقـال أتـوا بِـعَـيْـنِ كِـذَابـهِ[٤]

إنْ صَـحَّ مـا نَـقـلَ الأئـمـةُ عَـنْـهُـمُ ... فَـالـكُـفْـرُ ضَـربـة لَازبٍ لِـصِـحـابِـهِ[٥]

لا كُـفْـرَ فـي الـدنـيـا عـلـى كـلّ الـوَرَى ... إنْ كـانَ هـذا الـقـولُ دونَ نِـصَـابـهِ

قَـدْ ألـزمـونـا أن نـديـنَ بِـكُـفْـرِهِـمْ ... والـكُـفْـرُ شـرُّ الـخـلـقِ مَـنْ يَـرْضَـى بـهِ

فَـدعِ الـتـعـسُّـفَ فـي الـتَّـأوُّلِ لا تـكـنْ ... كَـفـتًـى يُـغـطِّـي جـيـفـةً بِـثـيـابـهِ[٦]

قَـدْ صَـرَّحـوا أَنَّ الـذي يَـبْـغـونـه ... هُـو ظـاهـرُ الأمـرِ الـذي قُـلـنـا بـهِ

هَـذي فُـتـوحـاتُ الـشُّـؤومِ شَـواهـدٌ ... أنّ الـمـرادَ لـهُ نـصـوصُ كِـتـابـهِ[٧]

وقد أوضحت في تلك الرسالة حال كل واحد من هؤلاء، وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم. وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب، وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كلّ ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفاً لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها كنهارها، ولم يتعبدني اللَّه بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام. وهب أن المراد بما في كتبهم وما نقل عنهم من الكلمات المستنكرة المعنى الظاهر والمدلول العربي وأنه قاض على قائله بالكفر البواح والضلال الصراح، فمن أين لنا أن قائله لم يتب عنه. ونحن لو كنَّا في عصره بل في مصره بل في منزله الذي يعالج فيه سكرات الموت لم يكن لنا إلى القطع بعدم التوبة سبيل، لأنها تقع من العبد بمجرد عقد القلب ما لم يغرغر بالموت، فكيف وبيننا

---

(١) رام النبوة: طلبها وابتغاها. لعاً: صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته، يقال: لعاً لفلان؛ وفي الدعاء عليه بالتعس يقولون: لا لعاً له. العثور: الزلل.

(٢) الجيلي: لعله عبدالعزيز بن عبدالواحد الجيلي: الطبيب الباحث الفيلسوف، الذي ساءت سيرته، فَقُبض عليه في دمشق، وقتل بالقرب من بعلبك سنة ٦٤١هـ.

(٣) التلمساني: هو عفيف الدين، سليمان بن علي الكومي، التلمساني: شاعر، كان يتصوف، ويتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله. توفي بدمشق سنة ٦٩٠هـ.

(٤) بوحدتهم: أي بنظريتهم في وحدة الوجود. الملا: البشر.

(٥) لازبٌ: ثابت.

(٦) التَّعسُّفُ: التَّكلُّفُ. الجيفة: جثة المَيِّت إذا أنتنت.

(٧) فتوحات: يريد كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي. الشُّؤوم: الشُّرُور.

وبينهم من السنين عدة مئين؟ ولا يصحّ الاعتراض على هذا بالكفار، فيقال هذا التجويز ممكن في الكفار على اختلاف أنواعهم لأنا نقول فرق بين من أصله الإسلام ومن أصله الكفر، فإنّ الحمل على الأصل مع اللبس هو الواجب لا سيما والخروج من الكفر إلى الإسلام لا يكون إلّا بأقوال وأفعال لا بمجرد عقد القلب والتوجه بالنية المشتملين على الندم والعزم على عدم المعاودة، فإنّ ذلك يكفي في التوبة، ولا يكفي في مصير الكافر مسلماً. وأيضاً فرق بين كفر التأويل وكفر التصريح، على أني لا أثبت كفر التأويل كما حققته في غير هذا الموطن. وفي هذه الإشارة كفاية لمن له هداية. وفي ذنوبنا التي قد أثقلت ظهورنا لقلوبنا أعظم شغلة، وطوبى لمن شغلته عيوبه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، فالراحلة التي قد حملت ما لا تكاد تنوء به إذا وضع عليها زيادة عليه انقطع ظهرها وقعدت على الطريق قبل وصول المنزل. وبلا شك أن التَّوثُّبَ على ثلب أعراض المشكوك في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإسلامهم جراءة غير محمودة، فربما كذب الظن وبطل الحديث وتقشعت سحائب الشكوك، وتجلت ظلمات الظنون، وطاحت الدقائق، وحقت الحقائق. وإنّ يوماً يفرُّ المرء من أبيه، ويشحُّ بما معه من الحسنات على أحبابه وذويه لحقيق بأن يحافظ فيه على الحسنات ولا يدعها يوم القيامة نهباً بين قوم قد صاروا تحت أطباق الثرى قبل أن يخرج إلى هذا العالم بدهور، وهو غير محمود على ذلك ولا مأجور، فهذا ما لا يفعله بنفسه العاقل. وأشد من ذلك أن ينثر جراب طاعاته وينثل كنانة حسناته على أعدائه غير مشكور بل مقهور، وهكذا يفعل عند الحضور للحساب بين يدي الجبار بالمغتابين والنمامين والهمازين اللمازين، فإنه قد علم بالضرورة الدينية أن مظلمة العرض كمظلمة المال والدم، ومجرد التفاوت في مقدار المظلمة لا يوجب عدم إنصاف ذلك الشيء المتفاوت أو بعضه بكونه مظلمة، فكل واحدة من هذه الثلاث مظلمة لآدمي، وكل مظلمة لآدمي لا تسقط إلَّا بعفوه. وما لم يُعْفَ عنه باقٍ على فاعله يوافي عَرَصات القيامة. فقل لي كيف يرجو من ظلم ميتاً بثلب عرضه أن يعفو عنه؟ ومن ذاك الذي يعفو في هذا الموقف وهو أحوج ما كان إلى ما يقيه عن النار؟ وإذا التبس عليك هذا فانظر ما تجده من الطباع البشرية في هذه الدار، فإنه لو ألقي الواحد من هذا النوع الإنساني إلى نار من نيار هذه الدنيا وأمكنه أن يتقيها بأبيه أو بأمه أو بابنه أو بحبيبه لفعل، فكيف بنار الآخرة التي ليست نار هذه الدنيا بالنسبة إليها شيئاً. ومن هذه الحيثية قال بعض من نظر بعين الحقيقة: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت أبي وأمي لأنهما أحقّ بحسناتي التي تؤخذ مني قسراً. وما أحسن هذا الكلام! ولا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرّها وأشرّها وأكثرها بلاءً وعقاباً ما بلغ منها إلى حدّ التكفير واللعن، فإنه قد صحّ أن تكفير المؤمن كفر، ولعنه راجع على فاعله، وسببه

فسق. وهذه عقوبة من جهة اللَّه سبحانه. وأما من وقع له التكفير واللعن والسب فمظلمة باقية على ظهر المكفر واللاعن والسبّاب، فانظر كيف صار المكفر كافراً واللاعن ملعوناً والسّباب فاسقاً، ولم يكن ذلك حد عقوبته بل غريمه ينتظر بعرصات المحشر ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك المظلمة. ومع ذلك فلا بد من شيء غير ذلك وهو العقوبة على مخالفة النهي لأن اللَّه قد نهى في كتابه وعلى لسان رسوله عن الغيبة بجميع أقسامها. ومخالف النهي فاعل محرم، وفاعل المحرم معاقب عليه. وهذا عارض من القول جرى به القلم ثم أحجم عن الكلام سائلاً من اللَّه حسن الختام، راجعاً إلى كمال ترجمة ذلك السيد الهمام، فنقول: صاحب الترجمة حال تحرير هذه الأحرف مُستمرٌّ على تلك الخصال الجميلة والمناقب الجليلة، قانعٌ بميسورٍ من العيش مؤثرٌ للخمول الذي هو الراحة والنعمة المجهولة، زاده اللَّه من أفضاله وأنجح له ما يرجوه من آماله. وتوفي رحمه اللَّه في سنة...[1].

(٣٦٦)

(القاسِمُ ابن أمير المؤمنين المُتوكِّل على اللَّه أحمد)

ابن أمير المؤمنين المَنْصور باللَّه عليّ ابن أمير المؤمنين المهدي العبَّاس ابن أمير المؤمنين المَنْصور حُسين ابن أمير المؤمنين المتوكِّل القاسِم بن حُسين بن أحمد بن حَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد. ولد سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف. ونشأ في حِجْر الخلافة نشوءاً طاهراً، فلما قارب سن البلوغ قرأ (بلوغ المرام) على الشيخ العلَّامة مُحمّد عابد السندي عند وفوده إلى حضرة أبيه، ثم حفظه من أوله إلى آخره عن ظهر قلب، ووصل إليّ وأسمعه عليّ من حفظه من أوله إلى آخره، والكتاب بيدي، فسبحان الفاتح المانح. وهو الآن يسمع عليّ صحيح البخاري ومُسلم، يفد إليَّ في بعض أيام الأسبوع، ويواظب على ذلك مواظبة عظيمة، ويفهم فهماً جيداً، ويحفظ حفظاً صالحاً مع اشتغاله بقراءة علم الآلة وإكبابه على مطالعة الكتب الحديثية. وله بالسنة المطهرة شغفٌ عظيمٌ ومحبة زائدة، ويعمل بكلّ ما صحَّ منها، ولا يبالي أطار لوم من يلومه أم وقع، ولا يلتفت إلى من يريد صدّه عن ذلك لأنه قد عرف أن هذا هو الحقّ الذي بعث اللَّه به رسوله، وأنزل به كتابه. ووالده مولانا الإمام حفظه اللَّه يرغبه في ذلك وَيُقوّي عزمه عليه، ويعجبه ما يرى منه. والحمد للَّه الذي أخرج من هذا البيت الشريف مثل هذا الفاضل زاده اللَّه علماً وكمالاً وعملاً بالحق وانقياداً له

(١) بياض في الأصل؛ وفي «التقصار»: توفي سنة ١٢٢٢هـ؛ وفي «مطلع الأقمار»: توفي سنة ١٢١٧هـ.